التركيب اللغوي من منظور اللسانيات التداولية

ديوان "كأني أرى" للشاعر عبد القادر الحصني أنموذجا

أ.د/دفة بلقاسم
قسم الأدب العربي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة محمد خيضر، بسكرة

الملخص:

من أهم ما تميز به الدرس التداولي تحديده لما يعرف بالوظائف التداولية للغة، إذ تجاوز وظيفة التواصل ،إلى تعدد الوظائف.
وحينما يعالج هذا البحث دراسة التركيب اللغوي من حيث الوظيفة التداولية في قصيدة الغماري التي نحن بصدد دراستها، فإنه يندرج ضمن الاتجاه الذي يبحث في الخصائص الشكلية لعناصر التركيب المتعددة (من أفعال ، وتكرار، وحذف...) وبيان وظائفها ، ودراسة ما يجعل من نصوص القصيدة حطابا شعريا متداولا.

Resume:

What characterizes most the pragmatic lesson is its limitation to what is known as (pragmatic function of language).

It surpasses the communicative function to various functions.

Since this research studies the syntax of language from pragmatic function side in the poem of (EL Ghemari). That is mentioned above, this research goes to the direction in which it studies the formal properties of various syntactic elements like (repetition, omission….etc),showing its functions and discussing what makes poetic text pragmatic oratory poems

مقدمة:

شهد مطلع القرن الماضي تحولا مهما في تاريخ الفكر اللساني الحديث ، وبخاصة أعمال فرديناند دوسوسير " F.de saussure " التي ظهرت في محاضرته الشهيرة: محاضرات في اللسانيات العامة " cours de linguistique générale " ، حيث عدت تأسيسا لمرحلة جديدة مخالفة لتصورات وآراء الدارسين السابقين ، و إن كان قد أفاد من النحو التقليدي من قبل؛ لدى الهنود و اليونان و العرب ، و دراسة الباحثين في القرون الوسطى ، و عصر النهضة حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي ، تضاف إلى ذلك البحوث اللسانية التاريخية و المقارنة التي ظهرت في القرن التاسع عشر ، و بخاصة ما قدمه فرانز بوب " F.poup " ، و النحاة من بعده.

غير أن محاضرات دوسوسير عدت اللسانيات درسا جديدا، له أسسه و مقوماته التي تميزه عن بحوث سابقيه. ومما ينبغي الإشارة إليه أن تمييزه بين الجانب الاجتماعي في اللغة " اللسان " " la langue" ، و الجانب الفردي " الكلام " " parole " يعد منطلقا جديدا لتتبع مسار ظهور التداولية " pragmatique " فيما بعد البنيوية " structuralisme "، لأنه بتمييزه الجانب الاجتماعي عن الجانب الفردي، وحدود كل منهما، يكون قد حصر المفاهيم المشتركة بين أفراد المجموعة اللغوية الواحدة، وهي القوانين العامة التي يؤد فيها التواصل، فيكون الخطاب " disceur " مفهوما لدى المتلقي، إن احترام المتكلم نظام اللغة، وغامضا إن خالفها فيما لا يجوز، ذلك أن اللغة تحكمها قوانين الظواهر الاجتماعية، فإنتاج اللغة في منظور اللسانيات الحديثة ينطلق من الأسس الاجتماعية، ثم يجنح إلى الفردية، وحصرت مهمتها في " الكشف عن القوانين الداخلية لهذا النظام، سواء أكانت قوانين ثابتة أو قوانين متطورة"[(1)].

و مع تطور الدراسات اللسانية تجاوزت اللسانيات الاهتمام باجتماعية اللغة إلى دراستها على مستوى الأفراد، حيث انتقلت من دراسة "اللسان"، إلى دراسة "الكلام" خلافا

لما رسمه " دوسوسير"، وهذا جزء أساس من اهتمام اللسانيات التداولية وفيما يلي عرص الأبعاد والتداولية للغة، ودراسة تطبيقية لمظاهر التداولية الديوان.

اللسانيات الوظيفية و الأبعاد التداولية للغة:

تعود اللسانيات الوظيفية إلى مجموعة بحوث لسانية، لم تستقر في زمن معــين، و لا عند دارس بعينه، إذ بمقدور الدارس أن يرصد بداياتها من أعمـــال حلقــة بـــراغ (cercle linguistique de praques) [2]، حين ميزوا بين علم الأصوات العام، و علم الأصوات الوظيفي الذي يقوم على مفهوم الفونيم " foneme " وقد وصفت أعمالهم بأنها تهتم بالوجهة الوظيفية للجملة، لاهتمامهم بدراستها ضمن مفهوم التواصل بعــده وظيفــة أساسية في النشاط اللغوي، وقدم بــذلك رومـــان جاكبســـون " R.jakobson " مخطــط التواصل المعروف بوظائفه الست، و الذي وجهت إليه انتقادات في الستينيات من القــرن العشرين ، من قبل بعض اللسانيين، أمثـــال: دانـــيس (danes). وفيربـــاس (firbas) و سكال(scall)، وغيرهم من الذين يرون أن التواصل يتميز بالحركية، و ليس بالثبات، كما يشير بذلك مخططه.

كما تستند الدراسات الوظيفية – كذلك– إلى ما قدمته المدرسة النسقية بلندن ، وهي متأثرة بأعمال حلقة براغ، حيث ترى أن اللغة ظاهرة بشرية متكاملة، و إن تناولها فـــي مستوياتها الجزئية من صوتية، وصرفية، ونحوية، ودلالية، يفقدها طابعها التواصلي الذي يميزها، إضافة إلى أن هذه الدراسة لا تقدم –غالبا– في صورتها المتكاملة،لذلك دعــدت إلى إغفال أبعادها الاجتماعية، و الثقافية، و النفسية، و التاريخية. و طـــورت فـــي هـــذا الميدان مفهوم سياق المقام "contescte de situation " الذي يدرس اللغة في ســـياقها المادي و المعنوي، لأنها ظاهرة اجتماعية و سيمائية " symiotique " وينبغي تحليلهـــا انطلاقـــا مـــن هـــذه الأســـس اعتمـــادا علـــى آراء دوسوســـير، وهيلمســـميلف، و مالينوفسكي، وفيرث و مارتيني.

ومن نتائج الدراسات الوظيفية في السبعينيات من القرن العشرين النحو الوظيفي، الذي يعد من صورها العامة، ويهتم بوظيفة " التواصل " (la communication)، وهي وظيفة اللغة الأساس.

وموضوع اللسانيات في نظر مارتيني هو وصف القدرة التواصلية لدى المتكلم و المخاطب، مما جعل بعضهم يعد نظرية التركيب " syntaxe " والدلالة " symontique " من وجهة تداولية " pragmatique ".

ومن أهم ما تميز به الدرس التداولي تحديده لما يعرف بالوظائف التداولية للغة " les fonction pragmatiques "، إذ تجاوز وظيفة التواصل، إلى تعدد الوظائف، وأهمها: أن اللغة ذات وظيفة تأثيرية في السلوك الإنساني، وتتبنى عليها تغيرات في الآراء و المواقف.

والواقع أن مسألة تعدد وظيفة اللغة (la fonction de la lanque) نشأت قبل نضج الدرس التداولي مع "جاكبسون"، وتطورت مع باحثين آخرين، مثل:" هاليداي"، و " بوهلر" وغيرهما.

وغاية الوظائف التداولية تحديد وضعية مؤلفات الجملة بالنظر إلى البنية الإخبارية في علاقة الجملة بالبنى المقامية المحتمل أن تنجز فيها.[3] فهي – كذلك وظائف مرتبطة بالمقام و السياق، و بمدى إنجازها في واقع التواصل و الإبلاغ.

وقد جعلها أحمد المتوكل مستندا إلى " سيمون " ديك (semon dik) نوعين: داخلية و خارجية.[4] " وتتسم الوظائف التداولية الداخلية بكونها تستند إلى عناصر تنتمي إلى الجملة ذاتها "[5] ، وتضم وظيفي المحور و البؤرة، أما الوظائف التداولية الخارجية فغير مرتبطة بعناصر الجملة، إذ تستند إلى مكونات خارجية عن الجمل، وتضم وظائف المبتدأ و الذيل.

ويصل مجموع الوظائف التداولية بحسب " سيمون دايك" إلى أربع، و يضيف المتوكل و ظيفة خامسة، هي وظيفة المنادى، إذ يقول: " ونقترح شخصيا أن تضاف إلى

الوظيفتين التداوليتين الخارجتين وظيفة المنادى".[6] فالمنادى شأنه شأن الإخبار أو الطلب، وهو وظيفة تستند إلى أحد مكونات الجملة، فالوظيفة التداولية مرتبطة بالمقام، على نحـــو ارتباط وظيفة المبتدأ أو الذيل، أو غير ذلك من الوظائف.

ويقوم مفهوم التداولية على مبدأ أن لسانيات القرن العشرين ساوت بين لســـانيات اللغة و لسانيات الكلام خلافا لموضوعها المحدد فـــي اللغـــة وحـــدها فـــي محاضـــرات دوسوسير واهتمت بالخطاب لكونه إنتاجا لغويا منظور إليه في علاقاته بظروفه المقاميـــة والسياقية، وبالوظيفة التواصلية التي تؤديها في هذه الظروف وهي تعتمد أسلوبا ما في فهم الخطاب وإدراكه بكيفية الاستخدام اللغوي وبياني الأشكال اللسانية التي لا يتحدد معناها إلا بالاستخدام وسياق الحال (contexte de situation) الـــذي يـــؤدي فيـــه خطابـــاتهم، فاهتمامها ينصب أساسا على المتكلم انطلاقا من سياق الملفوظات التي يؤديها إلى جانـــب تحليل الأفعال الكلامية ووظائف المنطوقات اللغوية وسماتها في عملية الاتصال، ولـــذلك سماها بعض اللغويين: لسانيات الاستعمال اللغوي، وموضوعها توظيف المعنى اللغوي في الاستعمال الفعلي، لأنها تبحث في معرفة مقاصد المتكلم وأغراض كلامـــه، فـــالمعنى لا يستقى من المبنى وحده، بل من الجانب السياقي كذلك، نحو قوله أحدهم لما يدخل عليه في مكتبه، ويترك الباب مفتوحا: ألا ترى أن الجو بارد؟ ومراده: أغلق الباب، وعلى المتلقي أن يدرك ذلك المعنى لنجاح عملية التواصل. ولاختصاص التداولية بمقاصد المتكلم، جعلها بعضهم تدرس وضعية التواصل وسياقاته المختلفة.

مظاهر التداولية اللغوية في ديوان "كأني أرى" لعبد القادر الحصني :

حينما يتناول هذا البحث دراسة خصائص التركيب اللغوي من حيـــث الوظيفـــة التداولية في ديوان المذكورة آنفا، فإنه يندرج ضمن الاتجاه الذي يبحث في الخصـــائص الشكلية لعناصر التركيب المتعددة من (أفعال، وبنى حجاجية، وتكرار، وحذف...) وبيان وظائفها – كما حددها الدرس اللساني التداولي – ودراسة ما يجعل من نصوص القصيدة خطابا شعريا متداولا.

و ديوان " كأني أرى" للشاعر السوري عبـد القـادر الحصـني، وهـو إداري مسؤول، يعمل في اتحاد كتاب العرب بدمشق.

و يحمل النص الشعري في الحقيقة قيما تداولية، غايتها التأثير فـي المخاطـب وتعديل مواقفه، معتمدا في ذلك على البلاغة التي غرضها الإبلاغ و التوصيل.

والنص الشعري بالمفهوم التداولي: هو مجموعة أفعال أدائية تضبطها جملة من العلاقات المتحكمة في عملية إبلاغه، وكذلك التداولية " تنظر و إلى اللغة بعدها ظـاهرة خطابيته و تواصلية و اجتماعية ".(7) و يلتقيان في كثير مـن الميـادين بهـذين المفهومين، و أبرزها أن الميدان الحيوي لكل منهما هو التواصل، و لهذا يمكن الكلام عن التداولية في نص شعري، و أهم ما تتناوله دراسة شروط وصول النص الشـعري إلـى المتلقي، و التأثير فيه، ودراسة الصور و البنى التي تتكفل بذلك.

أما عن الديوان، فإنه يضم العديد من الإشارات الداعية إلى هـذا النـوع مـن الدراسة، أبرزها، أنه تصور معاناة الشعب الفلسطيني، وصور العقل المـؤمن، و القلـب المطمئن، و صور الإيثار و الاستشهاد، و شموخ الانتفاضة، و كبريائها، فكانـت "ليلـى المقدسية"، و غيرها من حرائر فلسطين.(8)

و الهدف من هذا المبحث التعرف على أهم خصائص التراكيب النحويـة فـي القصيد، ليس من ناحية البنية النحوية فحسب، بل من حيث ارتباطها بمبدأ التداول بعامة، أي: أنه يبحث في الخصائص التي تجعل من تراكيب القصيد موجهة لغرض ما أو مقصد بذاته، لذلك فهو لا يعتمد الوصف الشكلي للتراكيب النحوية، و حصر عناصرها، فيمـا يسميه أحمد المتوكل بـ " البنية المكونة للجملة"، وتشمل المستوى الصرفي و التركيبـي، و يهتم في المقابل بالجانب التداولي للتركيب، و الذي يشكل إلى جانب المستوى الدلالي " البنية التحتية للجملة " ، فيما يصطلح عليه المتوكل.(9)

ومن أهم هذه المظاهر: الاهتمام بالمستوى التداولي في عـدد مـن تراكيـب القصيدة، و بناء التراكيب بحسب العمليات الفكرية الحاصلة في مخيل الشاعر، إلى جانب

اشتمال التراكيب النحوية على عناصر لغوية تحدد وجهة الجملة ودلالتها، وهو ما يعرف عند التداوليين بالقوة الإنجازية للجمل، و يعرض هذا المبحث أهم نماذج هذه المظاهر في القصيد:

أولاً: الاهتمام بالمستوى التداولي في التراكيب:

إن الاهتمام بالمستوى التداولي ظاهرة تتسم بها كل الخطابات – غالبا – إذا إن المتكلم ينجز خطابه وفق أحوال مقامية، و اعتدادا بمخاطب حاضر حقيقة أو افتراضا، ولا يختلف النص الشعري عن نص آخر في هذا المبدأ العام، غير أن حضور المخاطب فيه يكون افتراضيا عموما.

ويتعدد الحضور في هذا الديوان، ويهتم الشاعر بأحوال مخاطبيه بحسب مقتضيات القول، فيبدو ذلك على مستوى البنية التركيبية، وذلك كالآتي:

أ- **تكرار التركيب الإنشائية لإثارة المخاطب و امتثاله بما وكل إليه**، نحو قوله:[10]

فامنحني نغمةً أنْ أحْلمَ،

ومنحني نغمةً أنْ أقصصَ رؤياي

وقوله:[11]

كيف تعيد الأغنية مساءً من أوراق الأشجار

إذا انحلت في الماء الأنهار،

وكيف تعيد الأزهار إلى الحقل إذا صارت

عطرا في دكان العطار؟!

وقوله:[12]

يا شمس تبرير يا قمر الأولياء بشيراز

يا حلمَ تار المجلوسِ ببرد اليقين:

وقوله: [13]

يامحمد

يا اختراق الورد في القلب

ويا للحكم الأخضر مذبوحًا ص 117

يا شعبُ يا ظهرًا تخاشع بعدما ناءتْ به الأوزارُ من مستوزر !

و قوله: (14)

يا جيشَ أحمد يا ظلالَ سيوفه جدُّ الزمان فخذْ مكانك واحذر

وتأخذ الديوان هذا النمط التركيبي إلى نهايته، إذ يعتمد الشاعر إلى تعدد النداءات :" يا شمس ، يا حلم كار المجلوس، يا محمد..." وتكرارها، وتعدد الأساليب الإنشائية الأخرى " أمر، ونهي، و استفهام، وتمن، وترج، وتعجب.."، وتكرارها، ليحدث إثارة في نفس مخاطبه، ويضمن استجابته، ولذلك فإن هذه التراكيب الإنشائية تضم إلى جانب الدلالات الواضحة في الأبيات مستوى تداوليا تمثله هذه التراكيب بتكرارها، مما يجعل استجابة المخاطب وقبوله الطلب المفروض عليه، وهو مخاطب افتراضي، يصدق على كل إنسان، عربي مسلم، أو غير مسلم، سوري، أو من بلد آخر.

ب–تقديم مضمون النداء، و تأخير المنادي و الأداة، للاهتمام بالمضمون، نحو قوله: (15)

أفق يا حبيبي أفق يا حبيبي ليزداد عمرك يومًا، وتصبح أكبرْ

فقد أخرت أداة النداء مع المنادى في قوله:" يا حبيبي "، وقدم مضمون النداء " أفقْ "، وهو جملة أمرية، وفي التقديم اهتمام وعناية بالمقدم، لأنه هو المعلق بالنفس أولاً.

ت–الزيادة في التركيب بالوصف، وذلك لأغراض، منها:

- الشكوى و الاستعطاف، كقوله: (16)

أفديك يا ابنةَ كل أروع أسمر بدمي بمعتصرِ الشعورِ الأخضر

وأجوسُ جرحَك قارئًا مستلهمًا قمرا بغير الحبِّ لم يتطهَّر

لغةُ الجراح تبينُ عن لغة الهوى بمسلسلٍ سمحٍ و عذبٍ عبقري

لم تأت هذه الزيادات لغرض السامع فحسب، و إنما غرضها بــث الشــكوى و الاستعطاف، فالشاعر يشكو ما حل بالشعب الفلسطيني من مآس ونكبات على أيدي سفاكي الدماء؛ اليهود الغاصبين، و لا يمكن أن يتجسد الغرض دون تكرار وزيادة فــي وصــف الحال.

- **إحداث الدهشة لدى المخاطب**، نحو قوله: [17]

باعَ العروبةَ فيه ضربةُ لازب　　فالحرفُ غينٌ و التوجهُ بربري !
ما أقبحَ الأيامَ... في نزواتها　　ما شئت من عبر ومن مستعبر !
تدني إليك مسافة مقلوبة　　وتريك وجهك في قفا المستعمر !

وكقوله: [18]

لا يبلغُ الأعداءُ منك إذا سمتَ　　بك في الحظوب عزيمة لم تُكْسَر !
إني أقاتلُ في الضمير مُقاتلي　　يأْساً... ولم أهزمْ ولم أستأسر !
أُفضي إلى أعماقه مُسترسلاً　　فأروعه بيد الرجاء المقمرِ !

يسترسل الشاعر في وصف صورة الإسرائيلي المحتل، وصورة الفلسطيني المقاوم، ويزيد في وصفها بتراكيب متقاربة، مماثلة، ليحدث الدهشة لدى المخاطب، و ليستجيب للطلــب، ذلك نحو قوله: [19]

واحملْ جراحَ القدس من غدرائها　　مددا و غالب تُنتصر أو تعذر !
قاتلْ بها تقتل فما قَتَلَ العدى　　إلا جدائلها...وكاثر تكثــــر !

وتعد زيادة العناصر النحوية في التركيب تهيئة لنفس المخاطب، واستدراجا لـــه، لتلقـــي الطلب الحاصل في نهاية القصيدة، حيث يقول. [20]

نازلْ و قاتلْ دون حقــك فـــي الـــورى　　المجــد يزهــر فـــي الجبــين الأزهــــــــر
أجدرْ بنار الحق أن يصلي بها　　عجلُ اليهود و إن يخر و ينخــــر
في باحةِ الأقصى ابتردْ بلهيبها　　أولا فلذْ بصدى الأماني واصغر !

- **تقديم الضمير" أنا" – المسند إليه – قصد التفات المخاطب وانتباهه**، وذلك نحو: [21]

أنا! ألمٌ، أنا نادم، أنا خادم إن أتوب عن العروبة فاغفري !

أنا ما حييتُ أكرُّ غير مذمم بمقاتل مستأصل ومذ مـــرًّ !

أنا ما سلوتُك إن سلا محبوبهُ مذق المودة إن يعانق يهجــر !

فقد تكرر ضمير المتكلم "نحن" – هنا – مرتين.

- **أن يقترن تركيب بأخر تماثلا، وذلك لإثارة المخاطب**، نحو قوله واصــفا عمــق جرح فلسطين في قلب الأمة العربية و الإسلامية، إذ يقول : [22]

ما أروعَ الغضبَ الخصيبَ إذا غدت نظم تساس بحالم و مغرر !

ما أروعَ الغضبَ الخصيبَ إذا عنا وطن يكاد بمعذر و معذر !

ما أروعَ الغضبَ الخصيبَ بأمة لم تسق إلا من نجيع أكدر !

حيث تكررت التراكيب نفسها في أربع أبيات متوالية " ما أروع..." وقد جعــل الشاعر فلسطين غادة مستباحة، و أفاض في وصفها طلبا لالتفات المخاطب، ثم يردف ذلك بتركيب، يعرض ما حل، ليخلص إلى الطلب، نحو: [23]

من كل صوب في فلسطين العلا سمح تفجر يا فلسطين، افخري

أعراسُك الحمرُ الحسانُ يتيمة في الدهر فاكتب يا زمان وحرر

وبلجوء الشاعر إلى هذه الصورة يكون قد استخدم وسيلة لإثارة المتلقي، وهــي الغيرة على الشرف، وفي ذلك ضمان لأن يتلقى الخطاب، ويجيبه إلى طلبه، ويظهر جليا حرص الشاعر على إثارة مخاطبه في هذه الأبيات، وفي مثل قوله: [24]

يا جيشَ أحمدَ يا ظلالَ سيوفه جد الزمان فخذ مكانك واحذر

" لتقاتلن يهودَ " فاحملْ و احتملْ واشردْ بعجلك أيهذا الخيبري !

ففي ندائه " جيش أحمد " أي جيش محمد صلى الله عليه و سلم أضاف منادى ثــان " يــا ظلال سوفه " قصد إبراز المنادى الأساس " جيش أحمد "، وما دمت أيها الجيش على نهج

محمد – عليه الصلاة السلام – عليك أن تقوم بواجبك ، فتقاتل اليهود، ونحرر فلسطين، وليس أدق من هذا الأسلوب في إثارة المخاطب، وضمان استجابته.

ثانيا: القوى الإنجازية في التراكيب النحوية:

يعد مفهوم القوة الإنجازية " أحد اهتمامات الدراسات التداولية للجمل، ويشمل كل ما يواكب جملة ما أو نصا كاملا من مقاصد أثناء التواصل، نحو: الإخبار، الاستفهام، الأمر[25]، وغير ذلك من الأساليب العربية، ومن أنواع القوى الإنجازية في تراكيب القصيدة ما يأتي:

1- **النداء:** يعد النداء من الأدوات الإنجازية التي تسهم في تحقيق مقاصد التركيب،نحو قوله: [26]

عمت مساءً يا عبد الله

وعمت مساءً يا أمة الله

وكقوله: [27]

يا لله:

فجرْ من هذا الرملِ عيونًا

فقد خاطب "عبد الله" و " أمة الله" كما خاطب "الله" جل جلاله، ليفجر من الرحل عيونًا وهو نداء إيماني، يدل على تغلغل الإيمان في قلب المتكلم.

2- **التكــرار:** للتكرار – كذلك – قيمة تداولية، تتمثل في اهتمام المتكلم بالمخاطب، حين يعلم أن خبرا ما يثير في ذهن مخاطبه احتمالات عدة، فيكررا التركيب ذاته إزالة لهذه الاحتمالات، وتقوية وتأكيدا للفكرة المراد توصيلها للمخاطب، وهي ظاهرة اتسمت بها الديوان، منها قوله:[28]

مضى زمنُ الشمس و الملكاتِ

مضى زمنُ الطفلِ و الأعنبات

مضتْ أنهرٌ

حيث تكررت كلمة "ليل" خمس مرات في أربع أبيات متوالية

وكقوله: [29]

ما أروعَ الغضبَ الخصيبَ إذا غدت   نظم تُساس بحالم ومغرر !

ما أروعَ الغضبَ الخصيبَ إذا عنا   وطنٌ يكاد بمعذر ومعذرِ !

فقد تكرر تركيب " ما أروع الغضب الخصيب" . أربع مرات في أربع أبيات متوالية.

3- **النعت**: يستخدم المتكلم النعت مفردا أو جملة لبيان المنعــوت و توضــيحه، وهنا يظهر اهتمامه بالخطاب، وحرصه على بلوغه إلى المخاطب، ومــن شواهده في القصيدة قوله : [30]

نازلْ وقاتلْ دون حقك في الورى   المجدُ يزهرُ في الجبين الأزهـــــــر

و اشربْ من الذل المعتق دنهُ   عللاً.. وقامرْ في الجياع وسمسر !

وتتضح القوة الإنجازية للنعت في اهتمام المخاطب به (الأزهر، المعتق) أكثر من اهتمامه بالمنعوت، لأنه أكثر وضوحا، و لأن فيه ما يسهل بلوغه إلى نفسه، ويجعله يقتنع به.

4- **الحال:** للحال قيمة تداولية بالغة، قد لا تتوافر للأدوات الإنجازية الأخرى، إذْ إنَّ مفهومها مرتبط بأداء الفعل، حيث إنها تصف هيئة صاحبها حين وقوع الفعل، ولذلك فهي أكثر ارتباطا بأداء اللغة، وأكثر إحالةً على واقع استخدامها، ومن ورودها في القصيد قوله:

وأجوسُ جرحَكِ قارئًا مستلهماً   قمرًا بغير الحبِ لم يتطهرِ[31]

وقوله:

تجري وراءَ الأجر وهي عليمةٌ   علم الأجير بخدعةِ المستأجرِ[32]

وقوله:

وتخايلي فرحاً يذوبُ مع اللقا لنْ تركعي لنْ تُسلمي لنْ تُحصَرِي [33]

فالحال في "قارئاً" و "مستلهما"، و "وهي عليمة"، و" فرحاً"، كلها زادت المعنى وضوحًا، حين يعلم المخاطبُ أنَّ فلسطين الجريحة تعاني ويلاتِ الاستعمار.

ثالثا: تعدد القوي الإنجازية:

قد تتعددُ القوى الإنجازية بأنوعها في التراكيب الواحد، أو في تراكيب متتالية، مما يضاعف في شروط تحقيق الخطاب ونجاحه، أو إفشاله، إن كانت الأدوات لإفشال الإنجاز، ومن شواهد ذلك في القصيد:

أ- **تعدد الدعاء في تراكيب متوالية، نحو:**

تمتد هل غيرُ الغُروب دليلها ويلُ الشروق من الغروبِ المنكَر!
هلْ غيرُ شُطار البلاد سراتُها ويلُ السرَيِّ من الدَّعي الأَدْعر! [34]

يظهر الدعاء في كلمة "ويل" التي تكررت مرتين، و الإشارة فإن الدعاء شائع في العربية أن يدعو المتكلم لمخاطبه أو يدعو عليه أداء للقوة الإنجازية.

ب- **تضافر الطلب من نداء وأمر واستفهام ونهي في تراكيب متوالية،نحو:**

اقرأْ قصيدَ الدهرِ في أبياته هلْ غيرُ سيفٍ بالملاحمِ مُثْمِر
يا حاملَ الآلامِ في الأرض السُّدَى لا تبتئسْ وأدمْ وصالَك واصْبِر [35]

رابعا: لوحق إنجازية في تراكيب القصيد:

يشمل مفهوم اللواحق الإنجازية كل الوحدات اللغوية التي تكون مسؤولةً عن توجيه الخطاب وإنجازيته، وسيقتصر البحث على دراسة اللواحق التي تكون أكثر ارتباطا بالدلالة العامة للتراكيب، والتي لا يتحدد معناها إلا بالنظر إلى دلالتها، نحو الإشارات المكانية والإشارات الزمانية.

أ- الإشارات المكانية:

وهي لواحق تشير إلى مكان ينبغي أن تشمله دلالة المتكلم، ويدركه المخاطب (المتلقي)، لتتجح العملية التواصلية، ومن صورها في القصيد أن يشير المتكلم إلى مكان صريح معلوم، وينبغي على المخاطب أن يكون عارفًا له تحديدًا، بكل ما يمكن أن يتعلق به، وإلاّ أخفق في تلقي الخطاب، ومن شواهده في القصيد:

وتراهم و القدسُ ينزفُ قلبُها أخذوا بأطراف السكونِ المقبري [36]

في باحةِ الأقصى ابتردْ بلهيبها أولا فلذْ بصدى لأماني و اصغُر [37]

وقد ورد اسما مكان في كلمتي " القدس"و" الأقصى"، وهما صريحان يعلمهما المتلقي، إذ هما في فلسطين المحتلة.

ب- **الإشارات الزمانية:** أن يشير إلى زمن مهم من حيث الدلالة النحوية، ولكي يتعرف المخاطب على الحيز الزمني المراد في الخطاب، عليه أن يستغل كل ما يفضي به في البنية، وما يشير إليه، ليتحقق له الفهم من ذلك أن يستخدم مثلا الألفاظ "اليوم، غدا، الشهر، اليل، الزمان، في نحو قوله:

أعراسُكِ الحمرُ الحسانُ يتيمةٌ في الدهر فاكتبْ يا زمانُ وحرِّرِ [38]

وقوله:

ما أقبحَ الأيامَ! و انتفض الأسى نارًا على غُدَرٍ وإنْ لم يُغْدِرِ[39]

الزمن مبهم في البيتين في كلمتي "الدهر"و" الأيام"، ومع ذلك فقد حققا نجاح الخطاب.

الخاتمة:

وفي خاتمة هذا البحث، يمكن أن تخلص إلى النتائج الآتية:

- يرتبط مفهوم الشعر عند الغماري بوظيفة الحياة، كأن يحمل موقفا أو يعدل سلوكا، أ ويدعو إلى أمر أو ينهى عنه، بعيدا عن المفاهيم الأخرى التي تجعل الشعر فنا لذاته، بل إنه عند الغماري فعل وسلوك، ينبغي أن يكون له تأثيره على المتلقين، إنه في نظره رسالة يؤديها الشاعر بالإخلاص التام لانتماءاته الإسلامية و الوطنية و التاريخية، و الحث الدائم على الالتزام بمبادئها.
- إن الشعر أكثر ملاءمة للدراسة التداولية، وذلك أن هدفه التأثير في المخاطب وتعديل مواقفه استنادا إلى البلاغة التي غرضها الإبلاغ.
- شيوع أسلوب النداء، إذ تكرر في أربع وعشرين. جملة، ويعرض فيه الشاعر إلى وصف الأحوال الدالة على الاستعطاف و الشكوى...
- الاهتمام بالمستوى التداولي في التركيب، إذا يبدو اهتمام الشاعر بمخاطبيه في توالي التراكيب الإنشائية لإثارتهم واستمالتهم وقيامهم بما وكل إليهم، ومن ذلك تراكيب النداء، و الأمر، و التعجب و الاستفهام.

الهوامش:

1-رومان ياكبسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة علي حاكم صالح، وحسن ناظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2002، ص13.

(1) Jean dubois et autres, dictimmaire de linguistique, lilrairelarous paris, 217 P 217

2-أحمد المتوكل، الجملة المركبة في اللغة العربية، منشورات عكاظ، الربـــاط المغــرب، 1988، ص 25

3-ينظر: المرجع نفسه، ص 25.

4-أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان للنشر، الرباط، المغرب، ط1،2001، ص 110.

5-أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة و النشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1985، ص 17.

6-فرانسواز ا أرمنكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنمـــاء القــومي، الرباط، المغرب، 1986، ص56.

7-ينظر: مصطفى الغماري، قصائد منتقضة، أسرار من كتاب النار، الإهــداء،، اتحـــاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، مطبعة دار هومه، ط1، ديسمبر 2001، ص 10.

8-ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص45، وما بعدها، والوظيفة بين الكلية والنمطية، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط1، 2003، ص163، 164.

9-ديوان قصائد منتفضة أسرار من كتاب النار، ص 24.

10-الديوان، ص.27

11-الديوان، ص 31.

12-الديوان، 38.

13-الديوان، ص 39.

14-الديوان، ص 11.

15-الديوان، ص 11.

16-الديوان، ص 16.

17-الديوان، ص 17.

18-الديوان، ص 40.

19-الديوان، ص 44.

20-الديوان، ص 19.

21-الديوان، ص 12.

22-الديوان، ص 12.

23-الديوان، ص 40.

24-ينظر: أحمد المتوكل، الوظيفة بين الكلية و النمطية، ص 17.

25-الديوان، ص 41.

26-الديوان، ص 42.

27-الديوان، ص 32.

28-الديوان، ص 12.

29-الديوان، ص 44.

30-الديوان، ص 11.

31-الديوان، ص 33.

32-الديوان، ص 35.

33-الديوان، ص 36.

34-الديوان، ص 42،43.

35-الديوان، ص 29.

36-الديوان، ص 44.

37-الديوان، ص 12.

38-الديوان، ص18.